لولا مايو .. ما كان اكتوبر ..

تسجيلات مايو سلمتها المخابرات الأمريكية لمروان ومنه للسادات !

محمد جلال كشك

الحديث عن أكتوبر لابد أن يبدأ من مايو ، وآخر سر يذاع عن مايو ١٩٧١ هو ماورد فى كتاب « الخسوف » للصحفى الأمريكى « مارك بيرى » الذى يقدم لنا معلومات جديدة عن مؤامرة مركز القوى .. أو مؤامرة السادات على مركز القوى .. أهدافها المتناقضين فى ذكرى أكتوبر لعلها تخفف بعض أحزانهم

الكتاب يقول ان الخرطة التسجيل المشهورة التى وضعها اشرف مروان على مكتب الرئيس أنور السادات والتى سجلت مؤامرة مراكز القوى ، لم يتقدم بها مواطن بسيط يعمل فى الداخلية أو المخابرات المصرية أو مصلحة التليفونات - كما قيل لنا - ولا حتى كانت من جهود أشرف مروان ، بل سلمها له « توماس توبين » الذى عين مديرا لمحطة المخابرات الأمريكية (CIA سى أى ايه) فى القاهرة (فى أواخر عهد عبد الناصر ، عندما بدا أن مصر قد دخلت إلى الأبد فى المدار السوفيتى تحت تأثير الهزيمة والحاجة للسلاح والعجز عن سداد القروض ، حتى فقد عبد الناصر القدرة على الحركة ، بل استطاع الروس ان يفرضوا عليه اعادة على صبرى بعد أن دبر له حادثة الجهارك ، وكانت أجهزة الأمن كلها خاضعة أو قل تنصب فى مكتب سامى شرف ، الذى تجمع كل الأطراف على انه كان عميلا للكى جى بى .. أى المخابرات الروسية

ويزعم مؤلف الكتاب انه بعد موت عبد الناصر قرر رجل السى أى ايه بالقاهرة ، أن يخترق الحكومة المصرية ، وكان أبرز مرشح لتجنيده ، هو أشرف مروان الذى كان قد ثبت توافر عناصر مشجعة فى شخصيته ، لهذا الاختيار ، يعرف منها المصريون الكثير ، ولكن المؤلف الأمريكى اكتفى بكراهية أشرف (بك) للسوفيت وأعوانهم فى مصر وبالذات سامى شرف ، وبالاضافة لكراهية روحه تميز أشرة ، مروان كما تقول مصادر الكتاب يحب واعجاب شديدين للولايات المتحدة فكأنه يجمع المجد من أطرافه ، ونفهم من الكتاب أن « المخابرات بحثت ، وان هذا الجاع أدهل واشنطن وعقد معجزة وبلغ تأثر كبار المسئولين فى مقر المخابرات الأمريكية فى لانجلى من عداء أشرف مروان للاتحاد السوفيتى .. إلى حد انهم بدأوا يفكرون فى ان يكون هو الاداة لاخراج مصر من الدار السوفيتى ، وقد صدق حسهم !! ولم يقل المؤلف يحفظ سره فى اصعب خلقه ، ولذلك أضفتها أنا !

فى مايو ١٩٧١ - والكلام للمؤلف الأمريكى - تلقى توبين اشارة عاجلة من لانجلى تحذر من انقلاب تدبره الكى جى بى يبدأ باغتيال السادات ، وسينفذه كبار المسئولين فى حكومته من أعوان الكى جى بى .. أو بتعبير كلمات المؤلف « الذين يقبضون من المخابرات الروسية » وبالذات سامى شرف وعلى صبرى . وكان أهم مصدر فى هذه المعلومات ويعتبر مصدر ثقة ، هو تقرير ان ضابط فى المخابرات اليروسية يعمل كدبلوماسى فى الكويت . وسبق له العمل فى مصر ، وهو فلاديمير نيقولا نيتش ساخاروف ، الذى جندته المخابرات الأمريكية منذ السبعينات

أبلغ ساخاروف هذا بالانقلاب ، واكدته معلومات شبكة المخابرات الأمريكية المتغلغلة فى القاهرة ، كما أمكن الحصول على تسجيلات تليفونية للمتآمرين ، وهنا تنتقل إلى لقطه من الفيلم المنتظر ، حيث حمل توبين المستندات وذهب لنفاه أشرف مروان ، ولكنه اضطر إلى اللف والدوران ثلاث ساعات حتى تخلص من رقابة المخابرات المصرية والكى جى بى .. إلخ ، وفى النهاية التقى مع من يسميه « الوصلة » واستطاع ان يشرح للوصلة تفاصيل المؤامرة ، وخلال أيام من اتصال توبين بـ « الوصله » كان السادات قد حطم ظهر الانقلاب .

أما الأدلة التى قدمها توبين ووضعها اشرف مروان على مكتب السادات يوم ١١ مايو ، فكانت اشرطة التسجيلات لمحادثات المتآمرين ويكمن المؤلف ان توبين « أصبح بطل مصر ، وسارعت الولايات المتحدة للعمل على اخراج مصر من الفلك السوفيتى إلى حد استدعاء كيسنجر نفسه للضغط على مروان لاقناع السادات باخروج من قبضة السوفيت »

بقية القصة لعن نظن أننا نعرفها ، بعد عض البصر عن حواديت هيكل عن بنت السادات التى جاءته بالليل بالشبشب وا انهار الأسره تهتف به : بابا ماسك عصابتهم ولابس جلابيتهم لمخططة بتاعة عمى عصمت وبيقولك تعالى علشان تتبوضا .. يرا على وزير الدفاع والداخلية ومدير المخابرات .. إلى آخر المذر اللى روجوه عشرين سنة والذى يذكرنى بنكتة أخرى قيل السادات بروبها عشر سنوات عن سرقة خزانة عبد الناصر ! وان اللصوص لم يسرقوا منها الا أدلة تزوير انتخابات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى !! وأظن ان هذه الرواية هى التى تسببت فى اجرائى عمليتين لمفتاق ، إذ كلما كنت اسمعها أو أتذكرها أضحك حتى ازرق ولا شك ان خزانة عبد الناصر قد فتحت واخذ ، منها مجوهرات قدرت بالملايين بأسعار السبعينات وأوقام حسابات سرية وأهم من ذلك وثائق أو مستمسكات على بعض كبار أعوانه ، وقد عدد السادات الذى فتحت الخزنة من خلف ظهره وأبعد ، فلما لمت التسوية وكان عليه ان يكلفت الموضوع ويقول ماذا سرق من الخزنة .. لم يسعفه خياله الفلاحى الا بحكاية تزوير الانتخابات .

السادات لم يكن بحاجة لأى ضغط لكى يرحب بالخروج من قبضة السوفيت والتعلق بالأمريكان . فالسادات لم يكن غبيا ولا عميلا لأحد .. كان يتميز بأنه منقلب وذكى وصاحب حيل ، واهتمام بالتاريخ .. ولا يحمل مقدرته بأى ضابط من الذين كانوا حول عبد الناصر ، فهو يتفوق عليهم جميعا بقراءته وبنشاطه السياسى ، وهو دخل السياسة من باب العمل ضد الانجليز . وان كانت تربيته العسكرية قد أدخلته فى دوامة العمل الإرهابى أو السرى ، واحيانا المخابراتى ، فهو اشتغل بالسياسة ضد الانجليز حزبيا وبالمشوربات والاغتيالات وتعاونا مع المخابرات الألمانية ، وهذا التعاون كان عملا وطنيا صرفا لأن كل المصريين وقتها كانوا يشعلون الخلاص من الاحتلال البريطانى حتى بد الأسنان أو الحاج محمد هتلر كما كنا نسميه ، ونفس الشىء حدث فى الحرب العالمية الأولى ، ثم التقل الأهل للروس وخاب فى كل مره .. ومن هنا فعندما يتهم هيكل السادات أن تعاونه مع المخابرات الألمانية جعل منه عميلا أو جاسوسا نازيا فهو فى الحقيقة يخدم الدعاية الاسرائيلية السوداء فى عدائها للسادات بالذات لأن حسن حزت وعزيز المصرى وبغدادى والحاج أمين الحسينى والشهيد مصطفى .. إلخ كلهم كانوا بطريقة ما يتعاونون أو يرجون مساعدة الألمان فى حربهم ضد الانجليز .

السادات لم يتعلم السياسة بعد ان تربع فى قيادة مجلس الثورة كما تعلم الحضر خلافا لوصية : « تعلموا قبل ان تسودوا » أو كما علق استاذ فرنسى على طلب وزير مصرى الالتحاق بالجامعة فى باريس ، فقال : عندنا يتخرجون ثم يصبحون وزراء وعندكم العكس ! » بل تعلمها السادات فى الشارع وهو مطارد من البوليس وفى السجن والمعتقل ، والسادات عرف اصل عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية وعرف انه قوة لا تقاوم ولا تحاور ولا يخافه معه .. أنه طاغية ان انتهيت له فتلك ، أو كما قال التحاس ، ده باپور الزلط ابتعد عن طريقه ، فاختار ان يبقى خارج التاريخ ، مثل خروشوف الذى كان يطلب منه ستالين كلما سكر أن يسليه ويضيفه بتقليد رقصة الدب ، فيرقص خروشوف ويضحك ستالين .. وهكذا عاش حتى ورثه ليحا اسمه عن التاريخ .

ابتعد السادات عن لعبة السلطة تماما وايد عبد الناصر

ذهابا وإيابا وطمأنه من ناحيته بالخرق فى الملذات والتنعم والعيش فى رفاهية من مخصصات الثورة الى جانب مرتب ثابت من قطر واكراميات منتظمة من الشيخ عبد الله المبارك مكنته من تلبية مطالب أسرة لم تكن أبدا لا على مستوى الرجل ولا مستوى الدور الذى شاءت الاقدار ان تلعبه فى تاريخ مصر .

وقد استوعب السادات تجربة عبد الناصر اكثر من أى مصرى ، وعرف مطامعها وأسباب كوارثها ، ولم يكن يراوده أى أمل فى أن يرث عبد الناصر فهو أكبر منه سنا وهو لا يملك أى نفوذ لا فى الجيش ولا فى الاجهزة ولا فى الشارع بعد ان اشتهر بالبكباشى صبح .. وتبذل فى الدفاع عن كل ما يرتكبه نظام شيد الناصر .

وفجأة يموت عبد الناصر وتجد ابرز الاسماء حول سريره هو : على صبرى وهيكل والسادات وحسن التهامى وسامى شرف .. ونحن لا نتوقف عند أمثال محمد فوزى (الفريق وهو غير المضرب المشهور) وشعراوى جمعة .. فقد كانا وغيرهما مجرد كومبارس

حسن التهامى لا ينكر علاقاته بالمخابرات الامريكية ، وهو الذى تسلم الثلاثة ملايين دولار نقدا التى تبرع بها البيت الأبيض من المصاريف السرية لكى يمشى بها عبد الناصر حاله ويحسن أجهزة الأمن ، وعندما حسن التهامى ووجدها ناقصة مائة دولار .. ورفض عبد الناصر قبضها ولكنه أيضا لم يستطع اعادتها ، فبقى بها برج الجزيرة . وفى فترة تدهور العلاقات بين ناصر والامريكان تدروش حسن التهامى واصبح يرى مؤامرات معظمها يدور حول اكمال نصف دينه . فلما وقعت الهزيمة واراد عبد الناصر معاقبة الامريكان مرة أخرى حاه يحسن التهامى الى مجلس الوزراء بلا اسباب ولا حيثيات ، ولكن امريكا كانت قد اغلقت ملف عبد الناصر نهائيا .. وتركته لإذلال القصف الاسرائيلى وتنجيهة الوحش الروسى ، وبدا عبد الناصر كالوحش الجريح الذى يريد أن يهدم المعبد ، فدبر فضيحة الجمارك لعلى صبرى ثم القى القبض على سكرتيرة هيكل ومستشاره للشئون الماركسية بتسجيلات تهاجم عبد الناصر كما زعموا . وحاول اخراج هيكل من الاهرام .. واخيرا دبر فضيحة القيلا للسادات .. وهيكل والسادات لا يحتاجان لتعريف . أما على صبرى فقد بدا على علاقة طيبة جدا بالامريكان . هذه العلاقة التى رشحته كما قال هو لدخول الثورة دون سابق معرفة ولا ثقة من الضباط الاحرار .. ثم اصبح رجل الروس ! ونحن لنا رأيه فيه ؛ فهو لا كان مع الروس ولا الامريكان .. ولكن ..؟

لن نجيب عن هذا السؤال حتى يعرفنا احد من هو جد على صبرى المليح ؟! ترجو ممن عنده علم الكتاب أن يعرفنا من هو والد بليغ افندى وله منا الشكر سلفا ونقدا .

المهم كان تنكيل عبد الناصر فى انتظار الثلاثة : هيكل وصبرى والسادات ، وإذا به يموت ..

ويقولون اغتالوه ..

إذا كان .. فإن أى تحقيق يجب أن يبدأ بهؤلاء الثلاثة .. ثم رجال الكي جى بى ، إذ يبدو أن روسيا كانت مقتنعة أن وفاة عبد الناصر نعى تولى على صبرى مرشحهم . حتى إنهم دهشوا فى موسكو عندما أعلن انتخاب السادات ، الذى استطاع التهامى واخرون من دونهم أن يستغلوا حكاية انه النائب الأول رفرضوه ، وكان بلا جدال افضل المرشحين واجدرهم ولو من ناحية السن وتاريخ عضوية مجلس الثورة والرئيسة .

ومن اليوم الأول عرف السادات انه لا شرعية ولا استمرار فى الحكم إذا لم يحارب اليهود .. وأنه لا حرب

أنور السادات قبل الثورة

أشرف مروان هل وصلته الأشرطة من المخابرات الأمريكية ؟ !

فضلا عن الانتصار الا إذا رممت الجسور مع الشعب أولا وأيضا مع الامريكان .. وتبدأ باشاعة .

كان السادات يعلم عن تجربة أن اكبر خطأ هو الدخول من سلم الخدم ، حتى انه لم دعوه للقاء سري مع زعماء اسرائيل . رفض قائلا : أنا لا أفعل مثل الملك حسين .. أنا أذهب فى زيارة رسمية لإسرائيل كان يعرف أن كارتة انقلاب بوليو هى قبول عبد الناصر التعامل السرى مع المخابرات الامريكية ، ومهاجمة امريكا علنا لتغطية هذه العلاقة ، مما مكن اسرائيل من تأليب الرأى العام الامريكى ضده وتعصيب نفسها الممثل الشرعى والوحيد لامريكا فى الشرق الاوسط ، بعكس المنطق وحقائق التاريخ والواقع . ولذلك كانت خطة السادات هى التحالف أو ان شئت اتباعية العلنية للولايات المتحدة .. وفرض محبته على الامريكان بالقوة مزاحما اسرائيل فى ذلك ، رغيرا عليه حيرها الشعواء ، لأن اخطر ما كان يتهدد اسرائيل خلال الحرب الباردة هو أن يستطيع حاكم عربى قوى أن ينتزع الشعب الامريكى أن مصالحهم ليست مهددة فى الشرق الاوسط الا بسبب تحالفهم مع اسرائيل وليس أن اسرائيل هى التى تحمى هذه المصالح .

لم يكن السادات بحاجة الى اشرطة المخابرات الامريكية التى حملها اليه اشرف مروان صهر الزعيم الراحل . لكن ينقلب على مجموعة على صبرى رامى شرف ، ولكنه رحب بدون شك بكل الدعم الذى قدمته المخابرات الامريكية لتصفية هؤلاء .. ولانعتقد أن المخابرات الامريكية تكتفى بالتبليغ والوشاية .

والسهولة التى تمت بها تصفية الانقلاب على يد ثلاثة : السادات وهيكل وضابط بوليس جاء من الاسكندرية وعاش وصات لم يترك وراءه أى اثريدل عى شخصيته وعلاقاته شأن رجل الامن أو الاستخبارات النموذجي ، قبل أن تتفشى مادة الاتجير بالمذكرات . هذا النجاح يعزز الظن بأن البركة كانت معهم وليس كما حاول هيكل أن يفسر انتصار السادات بعبادة المصريين للشرعية .. التى لم تنفع فاروق ولا السادات نفسه !

أغلب الظن ان حركة التصحيح قد نجحت كما فعلت امها حركة بوليو لان يد السى أى ايه كانت فوق ايديهم ، ولا يغير ذلك من حقيقة أن الذين اطيح بهم فى المرتين كانوا يستحقون الاعدام ويستحقون بكراهية التحريم من الشعب ، وبعضهم كان عميلا للامريكان انتهى دوره ، وبعضهم كان عميلا للروس راهن على الحصان الخاسر ..

وفى اعتقادى ان العلاقة الطيبة التى قامت بين توماس التويشنى واشرف الاسخيروطى ، هى التى جعلت المخابرات الامريكية تغير دعمه عند السادات ، وايضا ارسال اشارة للسادات انها معه إذا أراد أن يجاهد مجموعة على صبرى ، ولاشك أن هذه المجموعة كانت تتحدث ضد السادات وان التسجيلات كانت فى مجموعها صحيحة ، ولكنهم كانوا غير قادرين على تدبير فضلا عن تنفيذ انقلاب ، ولا ندرى هل فعلا كان تفكيرهم صبيانيا الى حد التفكير فى احداث فرغ دستورى أو أنها تشنيعه خبيثة من اختراع هيكل أو حتى التويتى ؟ ! فراغ دستورى مين ياأولاد الكذا .. هو فى دستور اصلا ؟ !

ولا تقول إن التسجيلات التى قدمتها السى اى ايه هى التى أوغرت قلب السادات الذى لم تكن به نقطة واحدة بيضاء من تجنبهم ! ولا أن اشرابط عززت مركز مروان عنده لاقتناعه باخلاصه له ولو على حساب اهل البيت .. وانما تعزز مركز مروان لأن السادات فهم الاشارة وعرف ان هذا هو حلقة الوصل أو التوصيلة كما سماه مؤلف الكتاب . فبادر السادات وعمل الفتى أو الطفل المعجزة كما كان المصريون يسمونه ، على كتفه وطاب به يلتقط كل من يحمل نسمة العمالة للمخابرات أو صدر له تصريح ضد السوفييت يتودد به عند الامريكان .

وقد قيل الكثير حول اسباب اخراج السادات للسوفييت ، ولكن لم اقرأ شيئا من اسباب قبول الروس الخروج بهذه السهولة ، وقد كان لهم فى مصر أكثر من سبعين الف جندى .

ولاشك أن السادات عندما طلب من الروس الرحيل ، قد قام باجراء وعى لا يقل عن اخراج عبد الناصر الانجليز ، ولاشك أنه لو استمر الروس فى مصر لما وقعت حرب اكتوبر . فقد كان وجودهم يعطيهم الحق فى اتخاذ قرار الحرب . والروس لم يكونوا ليوافقوا على الحرب بأى حال من الاحوال بعد أن بدأت رحلة الوفاق على يد نيكسون وكسينجر ، ولن نقف طويلا عند ملامح القول الذى يعتب على السادات انه اخرج الروس بدون مقابل ، وكان يجدر به أن يساوم الامريكان على عرض مصر فيقبل لهم تدفعوا كام واطلع لروس ؟ !! هذا قول عملاء اعتادوا أن يفهموا ثمن كل شىء حتى استقلال الوطن .. ولكن السؤال هو : لماذا قبل الروس الخروج ؟

عتقد أنها تسوية تمت فى القمة بين واشنطن وموسكو .. تخرج بها روسيا من مصر مقابل اطلاق يدها فى ليبيا .. فتريح كل الاطراف .. ليبيا تحصل على الدولار من الشركات الامريكية فتشترى به السلاح من روسيا ، لا لتحارب به اسرائيل وتجر موسكو عصدام لا تريده مع امريكا ، بل تحارب به تشاد .. أو مصر .. وليبيا تدفع نقدا بالدولار الذى تعود روسيا فتشترى به القمح الامريكى ، وخذ من قرنه وادهن له .. أما مصر فتدفع ببيانات وعدم انحياز ! أو بيع الجدك بتأجير القواعد واعطاء التسهيلات ، وكل هذا فقد قبلته مع مرحلة الرفاق أو الضباب كما سماها السادات .

وهكذا صدرت الاوامر فإذا بالنظم الليبى الذى بدا اشد النظم عداوة للروس ينقلب ماءة وثمانين درجة ليصبح قاعدة الروس الأول فى العالم العربى ، وفى مصر يختار السادات وزيرا للخارجية دبلوماسيا اهم مسوغات تعيينه تصريح له ضد الروس . ويتآلف التهامى ، ويعود هيكل بينظر ويحلل ! ويبدأ السادات الخطوات الأولى فى رحلة الالف ميل لحرب اكتوبر ثم المبادرة فصدور قرار اعدامه وبالذات فى ٦ اكتوبر ..

ولعل للحديث بقية .

□